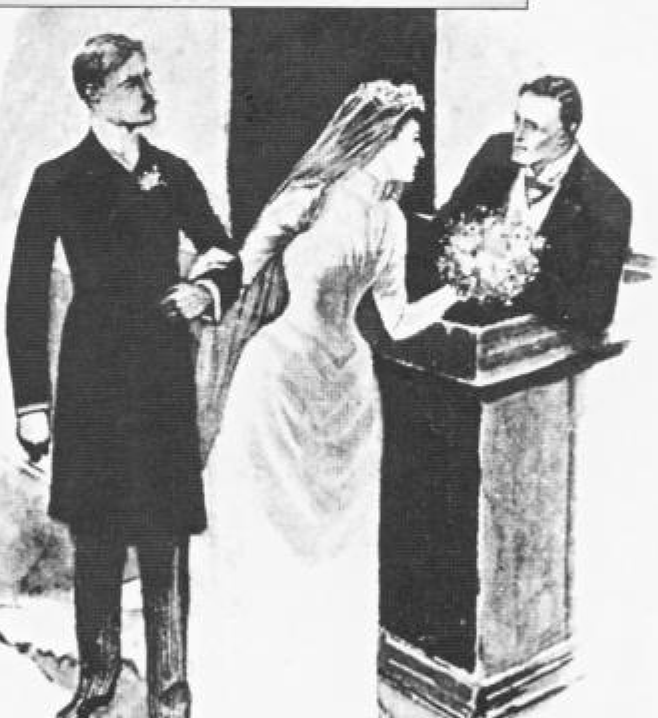
النص الكامل

مغامرات شيرلوك هولمز

10

تأليف:
آرثر كونان دويل

مغامرة النّبيل الأَعْزَب



بالرسومات الأصلية

الأجيال
للترجمة والنشر
AJYAL Publishers

بسم الله الرحمن الرحيم



مغامرات

شيرلوك هولمز

(١٠)

مغامرة النّبيل الأَعْزَب

نُشرت للمرة الأولى في صحيفة «ستراند» الشهرية
في عدد نيسان (أبريل) ١٨٩٢

تأليف: آرثر كونان دويل
ترجمة: سالي أحمد حمدي
تحرير: رمزي رامز حسّون

الأجيال
للترجمة والنشر

الطبعة الأولى
٢٠٠٧

العنوان الإلكتروني للناشر
info@al-ajyal.com

موقعنا على الإنترنت
www.al-ajyal.com



آرثر كونان دويل

وُلد آرثر كونان دويل لأسرة متوسطة الحال في إدنبرة في إسكتلندا في الثاني والعشرين من أيار (مايو) عام ١٨٥٩، والتحق بكلية الطب فيها وعمره سبعة عشر عاماً. وكان من مدرّسيه في الكلية الجرّاحُ الشهير الدكتور جوزيف بِلْ، وهو الذي أوحى إليه بشخصية شيرلوك هولمز التي ابتكرها بعد ذلك.

في عام ١٨٨٢ حصل دويل على شهادة الطب من جامعة إدنبرة، وكان يحلم بأن يصبح جرّاحاً وخبيراً في التشخيص مثل الدكتور بل، ولكن قلة المال اضطرته إلى العمل طبيباً على سفينة لصيد الحيتان.

بعد ذلك مارس مهنته في منزل صغير استأجره في بعض ضواحي بورتْسماوث، ولكن عدد المرضى كان قليلاً فاتجه إلى الكتابة أملاً في الحصول على بعض الدخل الإضافي. وقد كتب بعضاً من قصص المغامرات لمجلاّت الفتيان، ولكن أجره عنها كان ضئيلاً، وفشلت روايته الأولى في العثور على ناشر.

وفي غمرة إحساسه باليأس فكّر في أساليب الدكتور بل في التشخيص وقرر أن يستخدمها في قصة يكون بطلها واحداً من رجال التحري؛ وهكذا وُلد شيرلوك هولمز في رواية «دراسة قرمزية» التي نشرها دويل سنة ١٨٨٧.

لقد ابتكر دويل شخصية تفيض بالحياة، حتى إن الجماهير رفضت أن تصدق أنها شخصية خيالية! وكان المؤلف يتلقى بانتظام خطابات موجَّهة إلى هولمز تطلب مساعدته في حل قضايا حقيقية، وبعض هذه القضايا أدى إلى كشف قدرة دويل نفسه.

كانت إحدى هذه الحوادث تتعلق برجل سحب كل أمواله من البنك وحجز غرفة في أحد فنادق لندن، ثم حضر حفلاً عاد بعده إلى فندقه حيث أبدل ملابسه ثم اختفى. وعجز رجال الشرطة عن اكتشاف مكانه، وخشيت أسرته أن يكون قد أصيب بسوء، لكن دويل حلّ المشكلة سريعاً إذ قال: "سوف تجدون رجلكم في

غلاسكو أو إدنبرة، وقد ذهب هناك بمحض إرادته. إن سحب كل أمواله من البنك يشير إلى الهروب المتعمَّد، والحفل الذي كان فيه ينتهي في الساعة الحادية عشرة، ولمّا كان قد أبدل ملابسه بعد عودته فلا بدّ أنه كان ينوي القيام برحلة، والقطارات السريعة المتجهة إلى إسكتلندا تغادر محطة كينغز كروس عند منتصف الليل". وقد عُثر على الرجل في إدنبرة فعلاً!

كان آرثر كونان دويل رياضياً متعدد المواهب، فقد مارس الملاكمة وكرة القدم والبولينغ والكريكت، وكان خطيباً مفوَّهاً ومحاضراً ناجحاً ومحاوراً بارعاً، وقد ذاعت آراؤه وأفكاره المتنوعة في الطب والعلم والأدب والسياسة والاجتماع.



وفي عام ١٩٠٠ تطوّع الدكتور دويل في حرب البُويِر (في جنوب إفريقيا) وصار كبيراً للجرّاحين في واحد من المستشفيات الميدانية، وفي نهاية الحرب مُنح وسام الفروسية ولقب «سير» تقديراً لخدماته. وقد أصدر بعد عودته

إلى إنكلترا كتاباً مهماً عن هذه الحرب.

وتوفي السير آرثر كونان دويل في السابع من تموز (يوليو) عام ١٩٣٠ بعد أن بلغ الحادية والسبعين، بعد ثلاث سنوات من كتابة آخر قصصه عن شيرلوك هولمز وبعد مرور أكثر من أربعين عاماً على أول ظهور علني لهذه الشخصية الخارقة.

* * *



شيرلوك هولمز وعالَمه

ربما كان شيرلوك هولمز أشهرَ الشخصيات الخيالية في التاريخ، بل إنه يكاد يفوق في شهرته كثيراً من مشاهير العالم الحقيقيين. وقد بلغ من شهرة هذه الشخصية أنها فاقت شهرةَ مبتكرها، آرثر كونان دويل.

استوحى دويل شخصية هولمز وصفاته من الدكتور جوزيف بِلْ الذي درّسه في كلية الطب. كان الدكتور بِلْ يتمتع بموهبة عظيمة في الملاحظة وأسلوب التفكير المنطقي، وكان يثير اهتمام تلاميذه بقدراته الاستنتاجية الفذة، فهو لم يكن ماهراً فقط في التعرف على علل المرضى، بل وفي معرفة شخصياتهم ومِهَنهم وتفصيلات خفية عنهم أيضاً. كان يقول لأحد المرضى مثلاً: "أنت ضابط سُرِّح من الجيش حديثاً، وقد عدتَ لتوّك من بربادوس، وأنت تعاني من داء الفيل". وبعد أن تسيطر الدهشة على المريض والطلبة

على السواء يشرح الدكتور بل الأمر قائلاً إن الرجل يبدو جندياً من هيئته، وعدم خلع قبعته عند دخوله الغرفة يدل على أنه ترك الخدمة حديثاً، وهو يملك مظاهر السلطة كتلك التي توجد لدى الضباط، وتدل بشرته التي لوّحتها الشمس والمرض الذي يشكو منه على أنه جاء من منطقة استوائية، وقد جاء من بربادوس لأن هذا المرض بالذات منتشر هناك!

«وُلد» شيرلوك هولمز -في عالَمه الخيالي- سنة ١٨٥٤ وحصل على شهادة جامعية لم يحدّدها دويل، ثم احترف مهنة «محقق خاص» منذ نحو سنة ١٨٧٨،



وكان يقيم في شارع بيكر في العاصمة البريطانية لندن، ورقم البيت الذي يقيم فيه هو «٢٢١ب». وقد لا نبالغ إذا قلنا إن هذا العنوان (٢٢١ب شارع بيكر) هو أشهر عنوان في العصر الحديث! وقد برع هولمز في كشف الجرائم وحل الألغاز الغامضة بفضل دقة ملاحظته وقدرته العظيمة على الاستنتاج والتحليل المنطقي، بالإضافة إلى غزارة معلوماته واطّلاعه الواسع على العلوم المختلفة.

أما الدكتور واطسون، صديق هولمز ومساعده الذي يرافقه في قصصه كلها، فلا يكاد يقل شهرة عن هولمز نفسه، وهو رَاوِية القصص الذي يقصّها علينا (كما فعل بعد ذلك هيستنغز في كثير من مغامرات بوارو). وهو طبيب وُلد نحو سنة ١٨٥٢ وتخرج طبيباً سنة ١٨٧٨، ثم انضم إلى الجيش سنة ١٨٨٠ وأمضى مدة خدمته في أفغانستان مع الجيش البريطاني، ثم عاد إلى بلده وتقاعد من الجيش بعدما أصيب في إحدى المعارك، وعندها تعرف إلى شيرلوك هولمز في مختبر الكيمياء بمستشفى ستامفورد في أوائل سنة ١٨٨١، ولم يفترق الصديقان بعد ذلك قط. وقد تزوج الدكتور واطسون في أواخر سنة ١٨٨٦، لكن دويل لم يشأ أن يعرّفنا إلى زوجته ولم يذكر لنا اسمها.

في قصة «المشكلة الأخيرة» التي نُشرت في نهاية

عام ١٨٩٣ «قتل» دويل بطله شيرلوك هولمز، لكنه واجه احتجاجاً عارماً من جماهير القراء فقرر إعادة إحياء هذه الشخصية الخيالية من جديد، فعاد هولمز إلى الظهور مرة أخرى في أواخر عام ١٩٠٣ ليستأنف حل القضايا الغامضة.

* * *



قصص شيرلوك هولمز

أول قصة نشرها دويل كانت في عام ١٨٧٩، وهي قصة قصيرة عنوانها «إفادة السيد جِفْسون»، أما أول رواية نشرها من بطولة شيرلوك هولمز فكانت «دراسة قرمزية»، وقد صدرت في بريطانيا عام ١٨٨٧ فلم يَكَد يُحِسّ بها أحد، لكنها حققت نجاحاً معتدلاً في الولايات المتحدة. وبعدها نشر رواية طويلة ثانية من بطولة شيرلوك هولمز، وهي رواية «علامة الأربعة» التي نُشرت عام ١٨٩٠ فوطّدت شخصيةَ هولمز في بريطانيا وأمريكا على السواء.

وفي السنة التالية (١٨٩١) بدأ نشر مجموعة «مغامرات شيرلوك هولمز» في حلقات شهرية في مجلة «ستراند»، بدءاً بقصة «فضيحة في بوهيميا» التي ظهرت في عدد تموز (يوليو)، فقوبلت هذه القصص بنجاح كبير غير مسبوق في تاريخ الصحافة البريطانية، ودخلت هذه الشخصية الخيالية التاريخَ من بابه الواسع، حيث صارت حديثَ المجتمع وشغلَ الناس في أنحاء البلاد.

وقد بلغ عدد قصص هذه السلسلة اثنتَي عشرة نُشر آخرها في عدد حزيران (يونيو) من عام ١٨٩٢. ثم ظهرت سلسلة «ذكريات شيرلوك هولمز» التي نُشرت في اثنتَي عشرة حلقة أيضاً صدر أولها في كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩٢، ويبدو أن دويل بدأ يملّ عندئذ من كتابة قصص شيرلوك هولمز، ولذلك «قتله» في آخر قصة من هذه المجموعة في معركة مع البروفسور موريارتي الشرّير عند شلالات رايشِنْباخ في سويسرا! وقد نُشرت هذه القصة (وعنوانها «المشكلة الأخيرة») في كانون الأول (ديسمبر) عام ١٨٩٣.

وثار جمهور دويل غضباً وانهالت عليه ألوف الخطابات تستنكر عمله وخسرت المجلة عشرين ألف اشتراك، ولكن دويل تمسّك بموقفه، فقد شعر بأن شيرلوك هولمز يحول بينه وبين أعمال أكثر أهمية. ثم وافق أخيراً بسبب الإلحاح الذي لم ينقطع على «بعث» شيرلوك هولمز، فأعاده إلى العمل في قصة «مغامرة المنزل الخالي» التي نُشرت في مجلة «ستراند» في تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٠٣.

وعاد شيرلوك هولمز إلى الأضواء من جديد؛ فقد تبيّن أنه لم يُقتَل على الإطلاق، وفي تلك القصة (المنزل الخالي) شرح دويل كيف نجا هولمز من الموت بأعجوبة، ثم شقّ طريقه بعد ذلك إلى بلاد

التبّت لمساعدة اللاما الكبير، ثم عاد إلى لندن ليحقق في وفاة ابن أحد اللوردات بطريقة غامضة. وقد أثارت عودة شيرلوك هولمز في مجلة «ستراند» في بريطانيا ومجلة «كوليرْز» في أمريكا حماسة بالغة في نفوس عشّاقه المخلَصين وحققت للمجلتين مبيعات غير مسبوقة. واستمر نشر سلسلة «عودة شيرلوك هولمز» (التي بلغ عدد حلقاتها ثلاث عشرة حلقة) حتى كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٤.

وكان دويل قد نشر قبل هذه السلسلة روايةَ شيرلوك هولمز الطويلة الثالثة «كلب عائلة باسكرفيل»، وقد استمر نشر حلقاتها من آب (أغسطس) ١٩٠١ إلى نيسان (أبريل) ١٩٠٢، وهي أشهر روايات شيرلوك هولمز على الإطلاق.

وبعدها صدرت سلسلة «الظهور الأخير» التي تضم سبع قصص نُشرت على حلقات متباعدة بين أيلول (سبتمبر) ١٩٠٨ وكانون الأول (ديسمبر) ١٩١٣، ثم الرواية الطويلة الرابعة «وادي الرعب» (٩/١٩١٤-٥/١٩١٥)، وهي أعظم روايات شيرلوك هولمز كما يقول النقّاد. وأخيراً سلسلة «قضايا شيرلوك هولمز» (١٠/١٩٢١-٤/١٩٢٧) التي نُشرت آخر حلقاتها بعد أربعين سنة تماماً من صدور أولى روايات شيرلوك هولمز.

ولم تقتصر مؤلفات آرثر كونان دويل على قصص وروايات شيرلوك هولمز، فقد ألّف كتباً كثيرة غيرها، منها روايات تاريخية ورومنسية ومسرحيات، بالإضافة إلى عدد كبير من الكتب والدراسات الغير الروائية.

والحقيقة أنه كان كاتباً غزير الإنتاج، فقد بلغ ما تركه من المؤلفات نحو مئة وستين، منها ستّون من قصص وروايات شيرلوك هولمز، وخمس روايات من بطولة شخصية خيالية أخرى ابتكرها هي شخصية عالِم اسمه البروفيسور تشالنجر، وأشهر هذه الروايات هي «العالَم المفقود»، ونحو أربعين رواية من الروايات المتنوعة، بالإضافة إلى عشر مسرحيات، وأربعة دواوين شعرية، وأكثر من خمسين كتاباً وكتيّباً في الشؤون الاجتماعية والسياسية والعسكرية، وكتاب ذكرياته الجميل الذي سمّاه «ذكريات ومغامرات».

* * *



رسّام شيرلوك هولمز الأشهر

تعاقب على رسم شخصية شيرلوك هولمز عددٌ من الرسّامين، لكن أشهرهم وأعظمهم -بلا خلاف- كان الرسام الإنكليزي سدني باجيت الذي صاحَبَ روايات هولمز وقصصَه منذ ولادتها المبكرة، وهو الذي بَلْوَر صورة شيرلوك هولمز وطبَعَها في عيون القراء على مدار السنين.

والغريب أن المجلة لم تسعَ ابتداءً خلف سدني باجيت بل خلف أخيه الأكبر ولتر الذي كان قد نجح في رسم رسومات قصّتَي «جزيرة الكنز» و«روبنسون كروزو»، لكن خطأً في الاتصالات تسبب في دعوة سدني، الأخ الأصغر، لرسم صور القصص الستّ

الأولى التي نشرتها مجلة «ستراند» في النصف الثاني من عام ١٨٩١، وعلى إثر النجاح الهائل الذي لقيَته هذه القصص مع رسوماتها التصق سدني باجيت بآرثر كونان دويل لتصبح رسومات هذا بنفس أهمية كتابة ذاك في عالم شيرلوك هولمز. وقد استمر سدني باجيت برسم الصور لقصص وروايات شيرلوك هولمز حتى وفاته عام ١٩٠٨، وبلغ عدد ما رسمه خلال هذه السنوات ٣٥٧ رسماً زيّنت ٣٨ قصة.

وحين توفي سدني استعانت مجلة «ستراند» برسّامين آخرين، فشارك في رسم السلسة الجديدة «الظهور الأخير» كل من ولتر باجيت، الأخ الأكبر لسدني، وآرثر تويدل وجلبرت هاليدي وأليك بول وجوزف سمبسون. أما السلسلة الأخيرة -وهي «قضايا شيرلوك هولمز»- فقد رسمها ثلاثة من الرسامين هم أ. جلبرت وهاوارد إلكوك وفرانك وايلز.

هذا في نسخة هولمز البريطانية التي نشرتها مجلة «ستراند»، أما في أمريكا فقد استعانت مجلة «كولِيرْز» بعدد من الرسامين أشهرهم فردريك دورْ ستيل، ومنهم و هـ هايد وجوزف فريدرتش ورتشارد غوتشمت.

* * *

مغامرة النّبيل الأَعْزَب

لم يعد زواج اللورد سايمون ونهايته المثيرة للفضول محلّ اهتمام الدوائر الاجتماعية الراقية التي يعيش فيها العريس السيئ الحظ، فقد طغت على الموضوع فضائح جديدة فصرفت تفصيلاتُها الأكثر إثارة ألسنةَ الناس عن تلك الأحداث المثيرة التي وقعت منذ أربع سنوات.

ولأنني أعلم أن الوقائع الكاملة لم تُعرَض على العامة قط، كما أن صديقي شيرلوك هولمز قد شارك بنصيب كبير في حل هذه المسألة، فقد شعرت أن مذكراتي عنه لا يمكن أن تكتمل دون وصف مختصر لهذه السلسلة الرائعة من الأحداث.

حدث ذلك قبل زواجي بأسابيع قليلة، في الوقت الذي كنت لا أزال أشارك فيه هولمز الإقامة بمسكنه في شارع بيكر، حين عاد هولمز من نزهته المسائية إلى المنزل ليجد في انتظاره خطاباً على الطاولة. وكنت قد بقيت في المنزل طَوال النهار لأن الطقس تغيّر بشكل مفاجئ وأمطرت السماء وهبّت

رياح خريفية عنيفة. كنت قد عُدت من الحملة العسكرية التي شاركت فيها في أفغانستان برصاصة في أحد أطرافي، ومثل هذا الجو يسبب لي في موضعها ألماً مستمراً ولكنه غير حادّ. وهكذا جلست في مقعد مريح ومددت ساقي على مقعد آخر، كما أحطتُ نفسي بعدد وافر من الصحف حتى تشبّعت بأخبار ذلك اليوم، فألقيت بها جانباً واستلقيت في كسل أنظر إلى الشارة الضخمة المختومة على الظرف الموجود على الطاولة وأتساءل عمّن يكون ذلك النبيل الذي أرسل الرسالة إلى صديقي.

قلت له عندما دخل: ها قد وصلتك رسالة رسمية أنيقة، فالذي أعرفه هو أن بريدك الصباحي لا يكاد يتضمن سوى الفواتير.

فأجابني مبتسماً: نعم، إن رسائلي متنوعة بالتأكيد، وفي العادة يكون أكثرها إثارة هو الأكثر تواضعاً. أما هذه الرسالة فتبدو وكأنها دعوة اجتماعية، وهي دعوات لا أحبها لأنها تسبب الملل أو تحمل المرء على النفاق.

فتح الظرف وألقى نظرة على مضمون الرسالة، ثم قال: آه، من الممكن أن يكون هذا الأمر مثيراً للاهتمام.

- ليست دعوة اجتماعية إذن؟

- بل من الواضح أنه عمل.

- ومن عميل من الطبقة الراقية؟

- واحد من أرقى الشخصيات في إنكلترا.

- أهنئك يا صديقي العزيز.

- أؤكد لك يا واطسون بكل صدق أن مركز عميلي الاجتماعي لا يمثل أهمية لي بقدر أهمية



رسم سدني باجيت ١٨٩٢ Sydney Paget 1892

قضيته، وإن كان من الممكن -على أية حال- أن لا يفتقر هذا التحقيق الجديد إلى الأهمية أيضاً. لقد كنت تقرأ الصحف بعناية مؤخراً، أليس كذلك؟

فقلت بأسى وأنا أشير إلى كومة الصحف الضخمة في الركن: هذا واضح، فلم يكن لي شيء آخر لأفعله.

- هذا من حسن الحظ، فقد تتمكن من تزويدي بالمعلومات، فأنا لا أقرأ شيئاً إلا أخبار الجريمة وصفحة المشكلات الشخصية، وهذه مفيدة دائماً، أما أنت فقد تتبعت الأحداث الجديدة عن كثب ولا بد أنك قرأت عن اللورد سايمون وزفافه.

- آه، نعم، باهتمام شديد.

- عظيم، فالخطاب الذي أحمله في يدي هو من اللورد سايمون. سأتلوه عليك، وفي المقابل عليك أن تراجع هذه الصحف وتخبرني بكل ما يتعلّق بهذا الموضوع. هذا هو نصّ خطابه:

عزيزي السيد هولمز،

أخبرني اللورد باكووتر أن بإمكاني الاعتماد كلياً على كتمانك وحصافة رأيك، ولذلك

سأزورك لأستشيرك بشأن الحادثة المؤلمة التي ارتبط وقوعها بزفافي. إن السيد ليستراد المفتش بالشرطة البريطانية يعمل بالقضية حالياً، ولكنه أكّد لي أنه لا يعارض تعاونك معه، وهو يظن أن تعاونك يمكن أن يفيده في التحقيق. سأزورك في الرابعة من بعد ظهر اليوم، وإذا كانت لديك أية ارتباطات أخرى في ذلك الوقت فأرجو أن تؤجّلها، فهذا الأمر ذو أهمية قصوى.

قال هولمز وهو يطوي الرسالة: إنها صادرة من قصر غروسفينور، وهي مكتوبة بقلم من الريش، وقد لطّخ اللورد السيئ الحظ الجانب الخارجي من إصبعه الأيمن الصغير بالحبر!

- إن موعده في الرابعة، والساعة الآن الثالثة، أي إنه سيكون هنا بعد ساعة.

- إذن فأمامي من الوقت ما يكفي لكي أتمكّن بمساعدتك من الإلمام بهذا الموضوع. هيا قلّب في هذه الصحف ورتّب المقتطفات حسب الترتيب الزمني، وفي هذه الأثناء سأراجع كتبي لأتعرف إلى عميلنا.

سحب هولمز مجلداً ذا غلاف أحمر من بين

صفّ من المراجع بجوار رفّ المدفأة وقال: ها هو. ثم جلس ووضعه مفتوحاً على ركبتيه وقرأ: "اللورد روبرت والِسْنغهام سينت سايمون، الابن الثاني للدوق بالمورال، وُلد عام ١٨٤٦ (أي أن عمره واحد وأربعون عاماً)، وكان وكيل وزارة



Josef Friedrich 1906 — رسم جوزف فريدرتش ١٩٠٦

المستعمرات في حكومة سابقة. أما والده الدوق فقد كان في وقت ما سكرتيراً للشؤون الخارجية". حسناً، ليس في هذا كله ما يمكن أن يفيدني؛ أظن أنني يجب أن أستعين بك يا واطسون لتخبرني بحقائق أكثر أهمية.

فقلت: لم أجد صعوبة تُذكَر في العثور على ما أريد، فالوقائع لا تزال حديثة. كان انطباعي عن الأمر أنه غريب، ولكنني لم ألفت إليه انتباهك لأنني عرفت أن بين يديك تحقيقاً آخر وأنك لا تحب تداخل الأمور.

- أتعني مشكلة شاحنة الأثاث تلك؟ لقد تم حل هذه المسألة تماماً، والحقيقة أن الحل كان واضحاً منذ البداية. أرجو أن تخبرني بنتائج بحثك.

- ها هو الخبر الأول الذي استطعت الوصول إليه. إنه في العمود الاجتماعي بصحيفة المورننغ بوست، وهي مؤرخة منذ بضعة أسابيع مضت، وهذا نصها: «تم الاتفاق على الزواج الذي سيتم قريباً -إذا صحّت الإشاعات- بين اللورد روبرت سينت سايمون، الابن الثاني للدوق بالمورال، وبين الآنسة هاتي دوران، الابنة الوحيدة للسيد

ألويْسيوس دوران من سان فرانسيسكو، كاليفورنيا، أمريكا». هذا كل شيء.

قال هولمز وهو يمدّ ساقيه الطويلتين النحيلتين باتجاه النار: تقرير مختصر ولكن دقيق.

- إحدى المقالات تناولت هذه المسألة بتوسّع أكبر بإحدى الصحف الاجتماعية في الأسبوع ذاته. آه، ها هو الخبر:

> ربما سمعنا عمّا قريب بنداءات استغاثة في سوق الزواج؛ حيث يبدو أن مبدأ التبادل التجاري الحرّ قد أثّر سلباً في منتجاتنا المحلية، فقد انتقلت إدارة البيوت النبيلة في بريطانيا العظمى الواحدة تلو الأخرى لتصبح تحت سيطرة بنات أعمامنا في الجانب الآخر عبر الأطلسي!
>
> ففي خلال الأسبوع الماضي أضيف شخص مهم إلى قائمة الجوائز التي فازت بها إحدى هؤلاء الغازيات الفاتنات، حيث إن اللورد سينت سايمون الذي أظهر مناعة ضدّ سهم الحب لأكثر من عشرين عاماً أعلن بشكل واضح قُرب زواجه بالآنسة هاتي دوران، وهي ابنة رائعة الجمال لمليونير من كاليفورنيا.

والآنسة دوران التي جذبت الأنظار بجمالها الأخّاذ ابنة وحيدة، وقد سمعنا أن مهرها قد يصل إلى مبلغ مكوّن من ستة أرقام أو أكثر. ومن الأسرار المكشوفة أن الدوق بالمورال قد اضطر إلى بيع لوحاته خلال الأعوام القليلة الماضية، وبما أن اللورد سايمون لا يملك أي ممتلكات شخصية سوى عزبة بيرتْشمور فمن الواضح إذن أن الوريثة الأمريكية ليست الرابحة الوحيدة بهذا الزواج الذي سيحوّلها من سيدة من إحدى الدول الجمهورية إلى نبيلة بريطانية.

سأل هولمز وهو يتثاءب: هل توجد تفصيلات أخرى؟

- نعم، الكثير؛ فها هو خبر صغير في صحيفة المورننغ بوست يقول إن الزواج سيتم في هدوء تام وإنه سيقام في كنيسة سينت جورج بميدان هانوفر وسيقتصر على بعض الأصدقاء المقرَّبين، وبعد ذلك سيعود الجميع إلى المنزل المفروش في لانكستر الذي استأجره السيد ألويسيوس دوران. وفي يوم الأربعاء الماضي، أي بعد ذلك بيومين، نُشر إعلان مُقتضب يقول إن الزواج قد تمّ وإن شهر العسل سيكون بمقر اللورد باكووتر بالقرب من

بيترْسفيلد. كانت تلك هي كل المقالات التي ظهرت قبل اختفاء العروس.

انتفض هولمز وقال: قبل ماذا؟!

- قبل اختفاء السيدة.

- ومتى اختفت؟

- عند الإفطار في صباح اليوم التالي للزواج.

- إن الأمر أكثر إثارة مما ظننت، بل إنه مشوّق جداً في الحقيقة.

- نعم، لقد أدهشني لأنه خارج قليلاً عن المألوف.

- عادة ما تختفي الزوجات قبل مراسم الزواج، وفي بعض الأحيان في أثناء شهر العسل، ولكنني لا أتذكر أي شيء بمثل هذه الإثارة. أرجوك زوّدني بالتفصيلات.

- أحذّرك من أنها غير كاملة.

- قد نستطيع توضيحها قليلاً.

- لقد كُتِبت في مقالة واحدة بجريدة صباحية

يوم أمس، وسأقرؤها عليك كما هي. كان عنوانها: «واقعة غريبة في زفاف عصري»، وهذا نصها:

أصيبت عائلة اللورد روبرت سينت سايمون بذعر شديد نتيجة للأحداث الغريبة المؤلمة التي ارتبطت بزفافه. لقد جرت مراسم الزواج (التي تمّ الإعلان عنها في صحف الأمس باختصار) في صباح اليوم السابق، ولكن تم الآن فقط تأكيد الشائعات الغريبة التي سرت بقوة رغم محاولات بعض الأصدقاء التكتم على الأمر، وقد جذبت المسألة اهتمام الرأي العام لدرجة أنه صار صعباً تجاهل الموضوع الذي بات حديث الساعة.

فالمراسم التي تمت في كنيسة سينت جورج بهدوء تام لم يحضرها أحدٌ سوى والد العروس، السيد ألويسيوس دوران، والدوق بالمورال، واللورد باكووتر، واللورد يوستيس والليدي كلارا سايمون (وهما الأخ الأصغر والأخت الصغرى للعريس)، والليدي أليسيا ويتنغتون. وقد ذهبت المجموعة كلها بعد الاحتفال إلى منزل السيد ألويسيوس دوران في لانكستر لتناول الإفطار.

ويبدو أن امرأة (لم يُعرَف اسمها بعد) تسبّبت

في حدوث مشكلة صغيرة حين حاولت اقتحام المنزل بعد العرس مدّعية أن لها حقاً عند اللورد سايمون، وقد طردها كبير الخدم والبوّاب بعد مشهد طويل مؤلم. أما العروس التي كانت -لحسن الحظ- قد



Sydney Paget 1892 رسم سدني باجيت ١٨٩٢

دخلت إلى المنزل قبل تلك المقاطعة غير السارة فقد جلست إلى الإفطار مع البقية، ولكنها اشتكت من اعتلال مفاجئ في الصحة وذهبت إلى غرفتها، وعندما أثار غيابها الطويل بعض التعليقات تبعها والدها، ولكنه علم من خادمتها أنها صعدت إلى غرفتها للحظة فقط فأخذت معطفاً وغطاء للرأس ثم أسرعت باتجاه الممر. وقد أفاد أحد البوّابين أنه رأى سيدة تغادر المنزل بهذه الملابس ولكنه لم يدرك أنها سيدته وظن أنها واحدة من الضيوف.

وقد تم إبلاغ الشرطة على الفور وبدأت تحقيقات مكثّفة من المحتمل أن تؤدي إلى حل سريع لهذا الأمر الغريب. وعلى أية حال لم يظهر أي أثر للسيدة المفقودة حتى وقت متأخر من ليلة أمس، وتقول بعض الشائعات إن في المسألة لعبة قذرة، حيث يقال إن الشرطة قد قبضت على المرأة التي تسببت بالإزعاج الأصلي، ويُظَنّ أن لها علاقة باختفاء العروس بسبب الغيرة أو أي دافع آخر.

- وهل هذا كل شيء؟

- هذا موضوع صغير في صحيفة صباحية

أخرى، ولكنه غير جازم.

- وماذا يقول؟

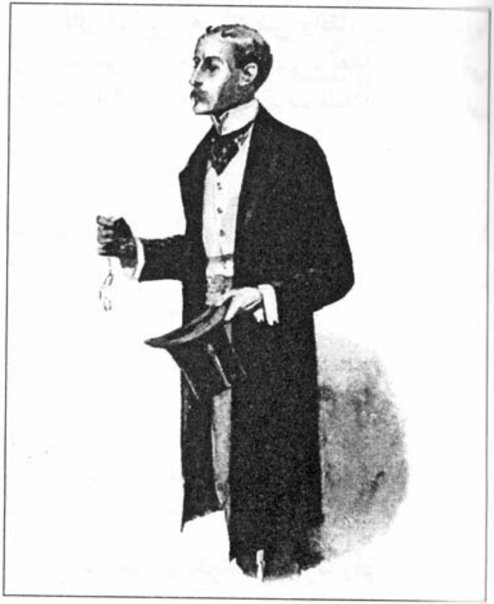
- يقول إن الآنسة فلورا ميلر (وهي السيدة التي تسببت بالاضطراب) قد قُبض عليها بالفعل وتبين أنها راقصة استعراضية سابقة وأنها كانت تعرف العريس لسنوات. هذا كل شيء؛ لا توجد تفصيلات أخرى، وبذلك تكون تفصيلات القضية كلها قد صارت بين يديك كما وردت في الصحافة.

- إنها قضية شديدة التشويق على ما يبدو، وما كنت لأضيّعها بأي ثمن. آه، ها هو الجرس يُقرَع، وبما أن الساعة قد تجاوزت الرابعة بدقائق قليلة فلا شك أن القادم هو عميلنا النبيل. لا تحلم بالانصراف يا واطسون، فأنا أفضّل وجود شاهد ولو للاستعانة بك إذا ما خانتني الذاكرة.

أعلن البواب وهو يفتح الباب قائلاً: اللورد روبرت سينت سايمون.

دخل سيد محترم ذو وجه شاحب وأنف شامخ وعين ثابتة واثقة لرجل قدَره أن يأمر فيُطاع. كانت حركاته سريعة ولكن مظهره العام أعطى انطباعاً بالتقدم في السن، فقد انحنى ظهره انحناء بسيطاً

إلى الأمام وكانت ركبتاه تميلان قليلاً عند المشي، وعندما نزع عن رأسه القبعة ظهر شعره وقد خفّ عند المقدمة وظهر فيه الشيب عند السالفين. أما ملابسه فقد كانت أنيقة جداً إلى حد المبالغة، فقد ارتدى معطفاً قصيراً أسود اللون ذا ياقة عالية



Sydney Paget 1892 رسم سدني باجيت ١٨٩٢

وقفازاً أصفر، بالإضافة إلى حذاء من الجلد الممتاز وغطاء يُلبَس فوقه له لون فاتح. وقد تقدم في الغرفة ببطء وهو يدير رأسه من الجانب الأيسر إلى الجانب الأيمن ويؤرجح بيده اليمنى الرباط الذي يحمل نظارته الذهبية.

قال هولمز وهو ينهض واقفاً: يوم سعيد يا لورد سايمون. أرجو أن تجلس، هذا هو صديقي وزميلي الدكتور واطسون. اقترب قليلاً من النار حتى نناقش هذا الأمر.

- إنه أمر مؤلم للغاية بالنسبة لي يا سيد هولمز. لقد فهمت أنك توليت بالفعل بعض القضايا من هذا النوع يا سيدي، وإن كنت أظن أنها لم تكن تخصّ نفس الطبقة الاجتماعية.

- نعم، فأنا أهبط الآن إلى مستوى أدنى.

- عفواً!

- إن آخر عميل لهذا النوع من القضايا كان ملكاً.

- آه! حقاً لم تكن لدي فكرة. وأيّ ملك هو؟

- إنه ملك إسكندنافيا.

- ماذا؟! أفقَد زوجته؟

فقال هولمز بأسلوب مهذب: بإمكانك أن تقدّر أنني أحيط قضايا عملائي الآخرين بنفس السرّية التي أعدك بها لقضيتك.

- بالطبع، صحيح تماماً، صحيح تماماً. أرجوك اعذرني. أما بالنسبة لقضيتي فأنا مستعد لإعطائك أية تفصيلات قد تساعدك في تكوين رأي سليم.

- شكراً، لقد عرفت بالفعل كل ما ورد في الصحف ولا شيء أكثر، وأظن -مثلاً- أن بوسعي افتراض صحة هذا المقال الذي يشير إلى اختفاء عروسك.

ألقى اللورد سايمون نظرة على المقال وقال: نعم، إنه صحيح إلى الحد الذي وصل إليه.

- ولكن تنقصه إضافات كثيرة حتى يستطيع المرء أن يقدم رأياً، وأظن أنني سأصل إلى الحقيقة بشكل مباشر أكثر إذا قمت باستجوابك.

- أرجو أن تفعل ذلك.

- متى قابلت الآنسة هاتي دوران للمرة الأولى؟

- في سان فرانسيسكو، منذ عام مضى.

- هل كنت في رحلة إلى الولايات المتحدة؟

- نعم.

- هل تمت الخطبة وقتها؟

- لا.

- ولكنكما كنتما على علاقة ودية؟

- لقد كنت أسعد بصحبتها.

- هل والدها ثري؟

- يُقال إنه أغنى رجل في غرب أمريكا.

- وكيف جمع أمواله؟

- من المناجم، فهو لم يكن يملك شيئاً منذ سنوات قليلة، ولكنه وجد الذهب واستثمره فارتقى بسرعة شديدة.

- حسناً، وما هو انطباعك الخاص عن شخصية السيدة الشابة، زوجتك؟

أخذ النبيل يؤرجح نظارته بسرعة أكبر وحدّق إلى الأسفل نحو النار ثم قال: لقد بلغت زوجتي

العشرين من عمرها قبل أن يصبح أبوها غنياً، وقد انطلقت بحرّية خلال تلك الفترة في معسكرات المناجم وتجوّلت في الغابات والجبال، ولذلك فتعليمها جاء من الطبيعة بدلاً من أن تتلقاه في مدرسة. إنها من الفتيات ذوات الطبيعة القوية والحرّة، فهي لا تتقيد بأي نوع من التقاليد. إنها متهوّرة... بل أقصد أنها ثائرة، تتخذ القرارات بسرعة ولا تخشى تنفيذها. ولكني ما كنت لأعطيها الاسم الذي أتشرف بحمله لو لم...

ثم سعل بوقار وأكمل: لو لم أعتقد أنها تحمل في أعماقها صفات امرأة نبيلة، فأنا أعتقد أنها قادرة على التضحية بذاتها بشكل كبير وأنها ستنفر من كل ما هو مُشين.

- هل تحمل معك صورة لها؟

فتح قِلادة كان يحملها ليَظهر لنا وجه امرأة جميلة ذات شعر أسود لامع وعينين داكنتين واسعتين وفم دقيق لطيف. حدّق هولمز إليها لمدة طويلة، ثم أغلق القلادة وأعادها إلى اللورد سايمون وقال: لقد جاءت السيدة الشابة إلى لندن إذن فجدّدت تعارفكما؟

- نعم، لقد أحضرها أبوها لحضور الموسم الاجتماعي الأخير في لندن فقابلتها عدة مرات، ثم تمت خطبتنا، والآن أنا متزوّج بها.

- لقد قدّمَت لك مهراً كبيراً كما فهمت؟

- إنه مهر مناسب، وليس أكثر مما هو متعارف عليه في عائلتي.

- وهو الآن سيبقى معك بالطبع بما أن الزواج واقع لا سبيل إلى ردّه؟

- في الحقيقة لم أسأل عن هذا الموضوع.

- بالطبع. هل رأيت الآنسة دوران في اليوم السابق للزفاف؟

- نعم.

- هل كانت في حالة معنوية جيدة؟

- كانت في أحسن حال، وظلّت تتحدث عما يجب أن نفعله في حياتنا المستقبلية.

- حقاً؟ إن هذا مثير للاهتمام! وماذا عن صباح يوم الزفاف؟

- لقد كانت في أوج تألقها، على الأقل حتى

انتهت المراسم.

- وهل لاحظت أي تغيّر فيها حينذاك؟

- حسناً، في الحقيقة لقد رأيت في ذلك الوقت أولى الدلائل التي رأيتها على الإطلاق، حيث كان مزاجها حاداً قليلاً، رغم أن الحادثة نفسها كانت تافهة للغاية ولا تستحق السرد ولا يمكن أن تكون لها علاقة بالقضية.

- أرجو أن تقصّها علينا رغم ذلك.

- إنه أمر سخيف؛ فقد أسقطت طاقة أزهارها ونحن نعبر رُواق الكنيسة، وكانت تمر في تلك اللحظة بجوار المقعد الأول فوقعت الطاقة فوق المقعد. وحدث تأخّر بسيط، ولكن السيد الجالس على المقعد أعادها إليها. ولم يظهر أن الأزهار تضرّرت بسبب سقوطها، إلا أنها ردّت عليّ بجفاف عندما تحدثت إليها عن الموضوع، وعندما كنا في العربة متّجهَين إلى المنزل بدا عليها انفعال غير مبرَّر بسبب هذا الأمر التافه.

- حقاً، تقول إنه كان هناك سيد يجلس على مقعد الكنيسة، فهل حضر الحفلَ بعضُ عامة الناس؟

- نعم، فمن المستحيل منعهم عندما تكون الكنيسة مفتوحة.

- ألم يكن هذا السيد أحد أصدقاء زوجتك؟

- لا؛ إنني أدعوه بالسيد فقط من باب اللباقة،



Sydney Paget 1892 رسم سدني باجيت ١٨٩٢

ولكنه بدا كشخص وضيع المستوى. لقد لاحظت مظهره بالكاد... ولكنني أظن حقاً أننا نبتعد عن الموضوع الأساسي.

- حسناً. إذن لقد عادت الليدي سايمون من حفل الزفاف وهي في حالة نفسية أقل ابتهاجاً مما كانت عليه قبل ذهابها إليه، فماذا فعلت عندما عادت إلى منزل أبيها؟

- رأيتها تتحدّث إلى خادمتها.

- ومن هي خادمتها؟

- اسمها أليس، وهي أمريكية جاءت معها من كاليفورنيا.

- أهذه الخادمة موضع ثقة زوجتك؟

- بشكل مبالَغ فيه قليلاً، فقد بدا لي أن سيدتها تسمح لها بامتيازات كبيرة... لكن لا تنسَ أنهم ينظرون بشكل مختلف إلى مثل هذه الأمور في أمريكا.

- كم من الوقت استغرق حديثها مع الخادمة؟

- دقائق قليلة. لقد كان بالي مشغولاً بشيء

آخر في ذلك الوقت.

- ألم تسمع حديثهما؟

- قالت الليدي سايمون شيئاً عن القفز على امتياز، فهي معتادة على استخدام ألفاظ عامية من هذا النوع، ولكن ليست لديّ فكرة عما تعنيه بذلك.

- إن العامية الأمريكية معبّرة جداً في بعض الأحيان. وماذا فعلت زوجتك عندما انتهى حديثها مع الخادمة؟

- دخلت إلى حجرة الإفطار.

- وهي تمسك بذراعك؟

- لا، بل وحدها؛ فقد كانت تحب التصرف باستقلالية في هذه الأمور الصغيرة. ثم قامت بسرعة بعد جلوسنا بعشر دقائق أو نحو ذلك، وغمغمت ببعض كلمات الاعتذار قبل أن تغادر الغرفة، ولم تعد ثانية.

- ولكن الخادمة أليس تقول في شهادتها -كما فهمت- إنها ذهبت إلى غرفتها وارتدت معطفاً واسعاً غطّت به ثوب العرس ثم وضعت غطاء على

رأسها وخرجت.

- تماماً، وقد شوهدت بعد ذلك في حديقة هايد بارك برفقة فلورا ميلر، وهي المرأة الموجودة الآن رهن الاعتقال، وهي نفسها التي قامت بالشغب في منزل السيد دوران في ذلك الصباح.

- نعم، أودّ أن أعرف بعض التفصيلات الخاصة بهذه الشابة وعلاقتك بها.

هزّ اللورد سايمون كتفيه ورفع حاجبيه وقال: لقد كانت بيننا علاقة ودية لعدة سنوات، علاقة ودية جداً. ولم أكن بخيلاً معها وليس لديها سبب واضح للشكوى ضدي، ولكنك تعرف طبيعة النساء يا سيد هولمز. لقد كانت فلورا امرأة لطيفة ولكنها سريعة الانفعال وشديدة التعلّق بي، حتى إنها كتبت لي خطابات رهيبة عندما سمعت بقرب زواجي. وفي الحقيقة كان خوفي من الفضيحة في الكنيسة هو السبب الذي دعاني إلى الاحتفال بالزواج بهدوء شديد، ولكنها جاءت إلى بيت السيد دوران بعد عودتنا مباشرة وحاولت الدخول عنوة وهي تتلفّظ بكلمات بذيئة ضد زوجتي، حتى إنها هددتها، ولكنني كنت قد توقعت حدوث شيء من هذا

القبيل فأحضرت حارسين بملابس مدنية، وقد قاما بطردها، وعندما تأكدَت أنه لا جدوى من الشجار هدأت قليلاً.

- هل سمعت زوجتك كل ذلك؟

- لا، لم تسمعه ولله الحمد.

- ولكنها شوهدت وهي تتجول بصحبة تلك المرأة لاحقاً.

- نعم، وهذا ما يعتبره المفتش ليستراد شديد الخطورة، فمن المعتقد أن فلورا قامت باستدراج زوجتي حتى تخرج ثم أعدّت لها فخاً رهيباً.

- حسناً، إنه افتراض معقول.

- أنت تظن ذلك أيضاً؟

- لم أقل إنه محتمل، ولكن ألا تظن أنه قابل للتصديق؟

- لا أظن أن فلورا قادرة على إيذاء حشرة.

- ومع ذلك فالغيرة تعمل على تغيير الشخصية بشكل غريب. أرجو أن تخبرني بنظريتك عمّا حدث.

- حسناً، لقد جئت هنا سعياً وراء نظرية لا رغبةً في عرض واحدة، وقد أعطيتك كل الحقائق، ولكن بما أنك سألتني على أية حال فيمكنني القول إنه خطر ببالي أن تكون الإثارة المصاحبة للزواج بالإضافة إلى وعي زوجتي بالقفزة الاجتماعية الهائلة التي قامت بها قد تسبّبا في حدوث بعض الاضطراب العصبي لها.

- أي أنك تظن -باختصار- أنها أصيبت بلوثة عقلية مفاجئة؟

- حسناً، في الحقيقة عندما أفكر في أنها تخلت... لن أقول عني، وإنما عن الكثير مما يطمح إليه الكثير من الناس ولا ينجحون في الحصول عليه... لا أجد تفسيراً آخر للأمر.

قال هولمز مبتسماً: حسناً، هذا افتراض محتمَل. والآن أعتقد أنني قد حصلت تقريباً على كل المعلومات يا لورد سايمون، ولكني سأسألك سؤالاً واحداً: هل كان بإمكانكم رؤية الطريق خارج النافذة وأنتم جالسون على طاولة الإفطار؟

- لقد كنّا نستطيع رؤية الجانب الآخر من الطريق والمنتزه.

- تماماً. لا أظن أنني في حاجة إلى أن أؤخرك أكثر من ذلك، وسوف أكون على اتصال بك.

قال عميلنا وهو يقف: هل سيحالفك الحظ وتحل هذه المعضلة؟

- لقد حللتها.

- ماذا قلت؟!

- أقول إنني قد توصلت إلى الحل.

- أين زوجتي إذن؟

- سأمدّك بهذه المعلومة سريعاً.

هزّ اللورد سايمون رأسه وقال: أخشى أن الأمر يتطلب من هم أكثر حكمة مني ومنك.

ثم انحنى بأسلوبه المحافظ الوقور قبل أن يغادر.

* * *

قال هولمز ضاحكاً: لقد تلطّف اللورد سايمون وتكرّم فوضع عقلي على نفس المستوى مع عقله! حسناً، لقد توصلت إلى رأي قاطع بخصوص القضية قبل أن يدخل عميلنا الغرفة.

- ماذا يا عزيزي؟!

- إن لديّ سجلات لعدة قضايا مماثلة، بالرغم من أنها لم تكن بمثل هذه السرعة كما أشرت من قبل، وقد ساعدني استجوابي في تحويل تخميني إلى حقيقة.

- ولكنني سمعتُ كل ما سمعتَه.

- دون أن تكون لديك الخبرة بقضايا سابقة مشابهة، وهو الأمر الذي أفادني كثيراً. لقد وقعت حادثة مشابهة منذ عدة سنوات في أبَرْدين، وقضية أخرى تملك نفس الخطوط العريضة تقريباً في ميونخ في العام الذي تلا الحرب الفرنسية البروسية. إنها واحدة من تلك القضايا... آه، ها هو ليستراد.

دخل علينا المفتش وهو يرتدي سترة قصيرة من الصوف ويضع ربطة عنق كالتي يرتديها البحّارة، مما أعطاه مظهرهم. كان يحمل في يده حقيبة سوداء من القماش، وقد جلس بعد إلقاء التحية.

سأله هولمز واللمعة في عينيه: ما الأمر؟ تبدو مستاء.

- أنا أشعر بالاستياء بالفعل. إنها قضية اللورد

سايمون الكريهة، فأنا لا أستطيع فهم شيء منها.

- حقاً؟ إنك تدهشني!

- لا أظن أن أحداً قد سمع من قبل بقضية بمثل هذا التعقيد، فكلّما وصلت إلى دليل تسرّب من بين أصابعي. إنني أعمل على هذه القضية طَوال النهار!

وضع هولمز يده على كمّ السترة التي يرتديها وقال: ويبدو أنك تبللت جداً بسببها.

- أجل، فقد كنت أبحث في بحيرة سيربنتين.

- لماذا بالله عليك؟!

- بحثاً عن جثة الليدي سايمون.

فمال هولمز إلى الخلف في كرسيه وأخذ يضحك بشدة، ثم سأله: وهل بحثت في حوض نافورة ميدان ترافلغار؟

- لماذا؟ ماذا تقصد؟

- لأن فرصتك في العثور على السيدة في أحد المكانين تماثل فرصتك في العثور عليها في المكان الآخر.

فألقى ليستراد على رفيقي نظرة غاضبة ثم زمجر قائلاً: هل تعني أنك تعرف كل شيء عن الموضوع؟

- حسناً، لقد سمعت الوقائع لتوّي، ولكنني توصلت إلى الحل.

- حقاً؟! وأنت أتعتقد أن بحيرة سيربنتين لا علاقة لها بالموضوع؟

- أظن أنه أمر مستبعَد.

- إذن هل يمكنك أن تفسر لي كيف وجدنا



Sydney Paget 1892 رسم سدني باجيت ١٨٩٢

فيها هذه الأشياء؟

ثم فتح حقيبته وألقى على الأرض بثوب زفاف من الحرير المبلل وحذاء من الساتان الأبيض، بالإضافة إلى باقة عروس وطرحة، وكلها مبللة ومُتّسخة، وقال: هاك.

ثم وضع على قمة الكومة خاتم زواج جديداً وأكمل قائلاً: ها هي معضلة صغيرة عليك حلّها يا سيد هولمز.

فقال صديقي وهو ينفث دخان غليونه في الهواء: آه، حقاً! هل استخرجتم هذه الأشياء من بحيرة سيربنتين؟

- لا، بل وجدها حارس الحديقة طافية قرب حافة البحيرة، وقد تمّ التعرّف على الملابس وثبت أنها تخصّ الليدي. ومن ثَمّ فكرت بأننا إذا كنا قد وجدنا الملابس هناك فلا بد أن الجثة غير بعيدة.

- طبقاً لهذا التحليل العبقري يجب أن نجد جثة أي شخص بجوار خزانة ملابسه! أخبرني أرجوك، ما الذي أردت الوصول إليه؟

- أردت الوصول إلى دليل يورّط فلورا ميلر في

حادثة الاختفاء.

- أخشى أنك ستجد صعوبة في ذلك.

صاح ليستراد ببعض المرارة قائلاً: أهذا ما تظنه حقاً؟ أخشى يا هولمز أن تحليلاتك واستنتاجاتك تفتقر إلى الدقة، وقد وقعت في خطأ فادح لأن هذا الثوب يورّط الآنسة فلورا ميلر.

- وكيف ذلك؟

- إن للثوب جيباً، وفي الجيب علبة بطاقات، وفي علبة البطاقات رسالة صغيرة، ها هي.

ثم وضعها بعنف على الطاولة أمامنا وقال: استمعا إلى هذا: «سوف نتقابل حين يجهز كل شيء، تعالي فوراً. ف م». لقد بنيت نظريتي منذ البداية على أن فلورا ميلر قد استدرجت الليدي سايمون وأنها كانت المسؤولة عن اختفائها بالاشتراك مع شخص ما، وهذه الرسالة القصيرة الموقَّعة بحروف اسمها الأوّلية هي نفسها التي تم دسّها في يدها عند الباب كما أظن، وبها تمكّن الجناة من استدراجها لتقع بين أيديهم.

فقال هولمز ضاحكاً: ممتاز يا ليستراد، إنك

حقاً لممتاز. دعني أنظر إليها.

أخذ هولمز الورقة بكسل، ولكنها سرعان ما جذبت اهتمامه فأطلق صيحة تدل على الرضا وقال: هذا في غاية الأهمية!

- أتجدها كذلك؟



رسم جوزف فريدرتش ١٩٠٦ Josef Friedrich 1906

- لأقصى حد، أهنئك بحرارة.

وقف ليستراد وهو يشعر بالانتصار وحنى رأسه لينظر، ولكنه ما لبث أن صرخ قائلاً: ما هذا؟! أنت تنظر إلى الجانب المعكوس!

- أبداً، إنه الجانب الصحيح.

- الجانب الصحيح؟! أنت مجنون! إن الرسالة مكتوبة على هذا الجانب بالقلم الرصاص!

- وهنا على الجانب الآخر ما يبدو أنه جزء من فاتورة أحد الفنادق، وهو ما يثير اهتمامي الشديد.

فقال ليستراد: ليس فيها شيء مهم، فقد رأيتها من قبل: «الرابع من تشرين الأول (أكتوبر)، إقامة: ثمانية شلنات، إفطار: شلنان، غداء: شلنان»، ولا أرى أهمية في ذلك.

- من المرجَّح أن لا تفهم، ومع ذلك فهي في غاية الأهمية. أما بالنسبة للرسالة فإنها مهمة أيضاً، أو على الأقل الحروف الأوّلية مهمة. أهنئك مرة ثانية.

فقال ليستراد وهو ينهض واقفاً: لقد ضيّعتُ ما يكفي من الوقت، وأنا أؤمن بالعمل الشاق وليس

بالجلوس أمام المدفأة ونسج النظريات. أتمنى لك يوماً سعيداً يا سيد هولمز، ولنرَ مَن منا سيصل إلى حلّ هذه القضية أولاً.

ثم جمع الملابس ووضعها في الحقيبة واتجه إلى الباب، فقال هولمز متشدّقاً قبل أن يختفي منافسه: سأعطيك تلميحاً واحداً يا ليستراد، سأخبرك بالحل الصحيح للقضية. إن الليدي سايمون خرافة، فلا يوجد (ولم يوجد قط) شخص بهذا الاسم.

نظر ليستراد إلى صاحبي بحزن، ثم التفت إليّ ودقّ على جبهته ثلاث مرات، ثم هزّ رأسه بوقار وأسرع خارجاً.

* * *

لم يكد يُغلق الباب وراءه حتى نهض هولمز وارتدى معطفه قائلاً: لقد صدق الرجل حين تحدث عن العمل الميداني، ولذلك فسوف أتركك مع أوراقك لبعض الوقت يا واطسون.

غادر هولمز بعد الساعة الخامسة، ولكن لم يتوفّر لي الوقت لأشعر بالوحدة، ففي غضون ساعة وصل صاحب مطعم ومعه صندوق مسطح كبير جداً أفرغه بمساعدة صبي أحضره معه، وقد

غمرتني الدهشة على الفور حين رأيتهما يمدّان على طاولة منزلنا المتواضع عشاء لذيذاً. كان هناك طبقان كبيران من لحم الدجاج البارد وفطيرة معجون كبد الإوز مع مجموعة كبيرة من المقبِّلات المتنوعة، وقد انصرف الزائران بعد أن وضعا ذلك كله دون أي تفسير سوى أن هذه الأشياء قد دُفع ثمنها وطُلِب إرسالها إلى هذا العنوان.

دخل شيرلوك هولمز إلى الغرفة بنشاط قبل التاسعة بقليل، وبالرغم من ملامحه الجادّة إلا أنني عرفت من بريق عينيه أن أمله لم يَخِب فيما توصل إليه من استنتاجات.

قال وهو يفرك يديه: لقد أعدوا العشاء إذن؟

- يبدو أنك تنتظر بعض الضيوف، فقد أعدوا الطاولة لخمسة أشخاص.

- نعم، أظن أننا سنحظى ببعض الصحبة، بل يدهشني أن اللورد سايمون لم يحضر حتى الآن! آه، أعتقد أنني أسمع صوت خطواته على الدرج.

كان زائر بعد الظهر هو بالفعل مَن دخل مسرعاً وهو يؤرجح نظّارته بقوة أكبر من ذي قبل، وقد اكتست ملامحه الأرستقراطية بالقلق الشديد. سأله

هولمز: لقد وصلتك رسالتي إذن؟

- نعم، وأعترف أن محتواها قد روّعني إلى درجة لا توصف. أمتأكد أنت مما تقول؟

- إلى أقصى حد ممكن.

غاص اللورد سايمون في كرسيه ومرّ بيده على جبهته، ثم غمغم قائلاً: ماذا سيقول الدوق حين يسمع أن أحد أفراد العائلة قد تعرّض لمثل هذا الإذلال؟

- إنها المصادفة البحتة، ولا أظن أن في الأمر أي إذلال.

- آه، أنت تنظر إلى هذه الأمور من وجهة نظر مختلفة.

- لا أستطيع أن ألوم أي شخص في حالتنا هذه، ولا أرى أن السيدة كان بوسعها أن تتصرف بخلاف ما فعلت، بالرغم من أن طريقتها الفظة في القيام به كانت تدعو إلى الأسف بالتأكيد. ولكن بما أنها يتيمة الأم فإنها لم تجد مَن ينصحها في مثل هذا الموقف العصيب.

قال اللورد سايمون وهو ينقر بأصابعه على

الطاولة: إنها إهانة يا سيدي، إهانة علنية.

- يجب أن تسامح هذه السيدة المسكينة، فقد وجدت نفسها في موقف ليس له مثيل.

- لن أسامحها أبداً، بل أنا غاضب جداً في الحقيقة، فقد تمّ استغلالي بشكل مُخزٍ.

قال هولمز: أعتقد أنني أسمع صوت الجرس. نعم، إن هناك خطوات على الدرج، وبما أنني لم أستطع إقناعك بالنظر إلى الأمر بتساهل أكثر -يا لورد سايمون- فقد دعوت مَن قد يكون أكثر نجاحاً مني.

ثم فتح الباب وأدخل سيدة ورجلاً محترماً وقال: اسمح لي أن أقدم لك السيد فرانسيس مولتون والسيدة زوجته، وأحسب أنك قد قابلت السيدة من قبل.

هبّ عميلنا من كرسيه ووقف منتصباً فور دخول الضيفين، وقد وجّه نظره إلى الأسفل ووضع يده داخل معطفه الطويل كصورة مجسّدة للكرامة المجروحة. وتقدمت السيدة إلى الأمام ومدّت يدها إليه، ولكنه رفض أن يرفع نظره، ولعله فعل ذلك ليحافظ على ثبات موقفه إذ كان من الصعب مقاومة

وجهها المتوسِّل.

قالت: إنك غاضب يا روبرت. حسناً، أظن أن لديك كل الحقّ في ذلك.

قال اللورد بمرارة: أرجو أن لا تلتمسي مني العذر.

- أعرف أنني عاملتك بشكل سيّئ وأنه كان من المفروض أن أتحدث إليك قبل مغادرتي، ولكنني كنت مشوّشة الذهن، فمن اللحظة التي رأيت فيها فرانك لم أدرك ما الذي كنت أقوله أو أفعله، حتى



رسم سدني باجيت ١٨٩٢ Sydney Paget 1892

إنني أتعجب كيف لم أسقط فاقدة الوعي هناك في الكنيسة!

سأل هولمز: هل تفضلين -يا سيدة مولتون- أن أغادر أنا وصديقي الغرفة حتى تستطيعي شرح الأمر؟

فعلق السيد الغريب قائلاً: إذا سمحتم لي بإبداء رأيي فأنا أظن أن السرية قد فاقت الحد بخصوص هذا الموضوع، وأودّ من جانبي أن يعرف كل مَن في أوروبا وأمريكا حقيقة الأمر.

كان شاباً حليقاً ضئيلاً نحيلاً لفحته الشمس، وله وجه حادّ وأسلوب رشيق.

قالت السيدة: سأقصّ حكايتي على الفور. لقد قابلت فرانك (وهو هذا الرجل الموجود هنا) في عام ١٨٨٤ في معسكر ماكوير بالقرب من جبال الروكي، حيث كان لأبي قطعة من الأرض يبحث فيها عن الذهب. وتمت خطبتنا أنا وفرانك، وذات يوم عثر أبي على بقعة غنية بالذهب وصار ثرياً، أما فرانك المسكين فلم يسفر البحث في أرضه عن شيء. وهكذا فكلما ازداد أبي ثراء ازداد فرانك فقراً، حتى رفض أبي أن تستمر خطبتنا أكثر من

ذلك وأخذني إلى سان فرانسيسكو.

لكنْ فرانك لم يستسلم، بل تبعني إلى هناك وقابلني دون أن يعرف أبي شيئاً عن الأمر، فلو عرف لجنّ جنونه. وهكذا قمنا بكل الترتيبات بأنفسنا، فقال فرانك إنه سيذهب ليكوّن ثروته بنفسه ولن يعود قبل أن يصبح له من المال مثل الذي لأبي، وعندها وعدته بأن أنتظره إلى الأبد وتعهدت بأن لا أتزوج غيره ما دام هو على قيد الحياة، فقال لي: لماذا لا نتزوج في الحال إذن حتى أطمئن أنك لي؟ ولن أطالبك بحقي كزوج حتى أعود.

حسناً، تدارسنا الأمر وقام بترتيب كل شيء بطريقة لطيفة، وبوجود الكاهن في الانتظار قمنا بتنفيذ الأمر في ذلك المكان، وبعدها ذهب فرانك سعياً وراء الثروة وعدت أنا إلى أبي. وسمعت بعد ذلك أن فرانك في مونتانا، ثم ذهب للتنقيب في أريزونا، ثم سمعت أخباره من نيومكسيكو. بعدها نُشرت في إحدى الصحف قصة طويلة عن هجوم هنود الأباتشي على معسكر تنقيب، وكان اسم فرانك العزيز بين أسماء القتلى، فسقطت مغشياً عليّ في الحال وبقيت مريضة جداً لأشهر عدة بعد ذلك. وظنّ أبي أن بي ضعفاً فأخذني إلى نصف

أطباء المدينة.

ولم تصلني أية أخبار لعام أو أكثر، ولذلك لم أشكّ في أن فرانك قد مات. وبعد ذلك جاء اللورد سايمون إلى سان فرانسيسكو، ثم جئنا نحن إلى لندن وتم ترتيب الزواج، وكان أبي سعيداً جداً، ولكنني شعرت طَوال الوقت أن أحداً لن يستطيع أخذ مكان عزيزي المسكين فرانك في قلبي.

ومع ذلك فلو أنني كنت قد تزوّجت اللورد سايمون لكنت أديت واجبي نحوه، فنحن لا نستطيع التحكم بقلوبنا ولكن نستطيع السيطرة على أفعالنا، ولهذا فقد ذهبت معه إلى الكنيسة وأنا أعتزم أن أكون له نِعم الزوجة، ولكم أن تتصوروا ما شعرت به عندما كنت هناك ورأيت فرانك واقفاً ينظر إليّ من مقعده في الصف الأول!

في البداية ظننته شبحه، ولكن عندما نظرت ثانية رأيته ما يزال هناك وفي عينيه ما يشبه التساؤل، كما لو كان يسألني ما إذا كنت سعيدة أو آسفة لرؤيته! وأنا أتعجب لعدم سقوطي وقتها، فقد كان كل شيء يدور وكانت كلمات القسيس كطنين النحلة في أذني، فلم أعرف ماذا أفعل... هل يجب عليّ أن أوقف المراسم وأثير فضيحة في الكنيسة؟

ألقيت عليه نظرة سريعة ثانية، وبدا أنه يعرف ما أفكر به فقد رفع إصبعه إلى شفتيه ليخبرني أن أبقى في مكاني. بعد ذلك رأيته يكتب بسرعة على قطعة من الورق وعرفت أنه يكتب رسالة لي، فأوقعت طاقة أزهاري عليه حين كنت أمرّ بمقعده، وقد دسّ لي الرسالة في يدي عندما أعاد لي الأزهار. كانت الرسالة سطراً واحداً يطلب فيه مني أن أرافقه عندما يشير إليّ بذلك، وبالطبع لم أشك قط أن واجبي الأول صار نحوه الآن، ولهذا قررت أن أتصرف كما يقول.

عندما عُدت أخبرت خادمتي (التي كانت تعرفه في كاليفورنيا) وأمرتها بأن لا تقول شيئاً وأن تحزم لي بعض الأشياء وتُجهّز معطفي. أعرف أنه كان عليّ أن أتحدث إلى اللورد سايمون، ولكن كان الأمر بالغ الصعوبة أمام والدته وكل هؤلاء الضيوف الكبار، فاستقرّ رأيي على الهرب وتقديم الشرح لاحقاً.

ولم أكن قد جلست على مائدة الإفطار أكثر من عشر دقائق حين رأيت فرانك من النافذة واقفاً على الجانب الآخر من الطريق، وقد أومأ إليّ ثم بدأ يمشي إلى داخل المتَنزَّه، فتسللت وارتديت معطفي الواسع ثم تبعته. وقد جاءت إحدى النساء

لتحدثني ببعض الأمور عن اللورد سايمون، وبدا لي مما سمعته أن لديه أيضاً سرّاً صغيراً قبل الزواج يخفيه، ولكنني تمكّنت من التهرب منها ولحقت بفرانك، فركبنا معاً عربة أجرة وذهبنا إلى مسكن استأجره في ميدان غوردون. وكان ذلك هو زفافي الحقيقي بعد انتظار السنين، فقد كان فرانك مسجوناً



رسم سدني باجيت ١٨٩٢ Sydney Paget 1892

عند الأباتشي، ثم هرب وعاد إلى سان فرانسيسكو ليكتشف أنني سلمت بموته وذهبت إلى إنكلترا، فتبعني ولحق بي أخيراً في صباح يوم زواجي الثاني بعدما قرأ عنه في إحدى الصحف.

وبعدها تحدثنا عمّا يجب أن نفعله، وكان من رأي فرانك وجوب المصارحة، ولكنني كنت أشعر بالخجل الشديد من كل ما حدث وأردت أن أتوارى عن الأنظار وأن لا أرى أحداً منهم ثانية. ربما كنت سأرسل فقط خطاباً مختصراً إلى أبي ليعرف أنني على قيد الحياة، وقد كان من المربك أن أفكر بكل هؤلاء اللوردات والسيدات الجالسين حول طاولة الإفطار في انتظاري.

ولذلك أخذ فرانك ملابس زفافي وأشيائي فحزمها حتى لا يستدلّ أحد على مكاني، ثم ألقى بها بعيداً بحيث لا يستطيع أحد العثور عليها. وكنا على الأرجح سنغادر إلى باريس غداً لولا أن هذا السيد الطيب، شيرلوك هولمز، قد جاء عندنا هذا المساء، بالرغم من أنني لا أفهم كيف توصّل إلى مكاننا! وأوضح لي بصراحة شديدة وبلطف كبير أنني كنت مخطئة وأن فرانك كان على صواب، وأننا بتكتّمنا نضع أنفسنا في موضع اللوم. ثم عرض أن

يعطينا الفرصة لنتحدّث إلى اللورد وحده، فجئنا إلى مسكنه على الفور. والآن يا روبرت، لقد سمعت كل شيء... أنا في غاية الأسف إذا كنتُ قد سببت لك الألم، وأتمنّى أن لا يكون رأيك بي سيئاً.

لم يُرخِ اللورد سايمون من وقفته المتصلّبة، واستمع إلى هذا السرد الطويل وهو عابس مزموم الشفتين. وقال: أرجو المعذرة، ولكنني غير معتاد على مناقشة أموري الشخصية الشديدة الخصوصية بهذا الشكل العلني.

- لن تغفر لي إذن ولن تصافحني قبل أن أذهب؟

- آه، بالتأكيد، إذا كان الأمر سيسعدك.

ثم مدّ يده وأمسك اليد التي مدّتها إليه ببرود، واقترح هولمز قائلاً: لقد تمنيت أن تنضمّ إلينا في عشاء ودّي.

فأجابه اللورد قائلاً: أعتقد أنك تطلب الكثير، فقد أكون مضطراً إلى أن أذعن للتطورات الجديدة، ولكن لا يمكنكم أن تتوقعوا مني أن أُسَرّ بها، وأظن أنني -بعد إذنك- سأتمنى لكم ليلة سعيدة.

ثم انحنى لنا جميعاً وخرج من الغرفة بشموخ.

قال شيرلوك هولمز: آمل إذن أن أتشرف بصحبتكما على الأقل.

❋ ❋ ❋

قال هولمز حين انصرف ضيفانا: لقد كانت قضية مثيرة للاهتمام لأنها تُظهر -بوضوح شديد- كيف يمكن أن يكون حل قضية ما في منتهى البساطة بالرغم من أنها قد تبدو للوهلة الأولى غير قابلة للتفسير، فلا شيء يمكن أن يكون أكثر طبيعية من تسلسل الأحداث كما روتها هذه السيدة، ولا شيء



رسم سدني باجيـ ٩٢ Sydney P. et 1892

أكثر غرابة من النتيجة التي توصل إليها السيد ليستراد على سبيل المثال.

- إذن لم تخطئ أنت في تفسيرها على الإطلاق؟

- منذ البداية أدركت حقيقتين في غاية الوضوح؛ الأولى أن السيدة قد ذهبت إلى مراسم الزفاف وهي راضية تماماً، والثانية أنها بدت نادمة تماماً بعد دقائق قليلة من العودة إلى المنزل. من الواضح -إذن- أن شيئاً ما قد حدث خلال فترة الصباح فجعلها تغيّر رأيها، فماذا يمكن أن يكون هذا الشيء؟ لم تكن تستطيع التحدث إلى أي شخص عندما كانت في الخارج لأنها كانت بصحبة العريس، فهل رأت شخصاً ما؟ ولو كان الأمر كذلك فلا بد أن يكون شخصاً أمريكياً لأنها قضت وقتاً قصيراً جداً في هذا البلد، ولا يمكن أن تكون قد سمحت لأحد باكتساب مثل هذا التأثير العميق عليها بحيث إن مجرد رؤيته قد تحثّها على تغيير خططها بشكل كامل. وهكذا ترى أننا وصلنا بالفعل -عن طريق الاستبعاد- إلى أنها رأت أمريكياً بالتأكيد. ولكن من يكون هذا الأمريكي؟ ولماذا يكون له مثل هذا التأثير الكبير عليها؟ من الممكن أن يكون حبيباً، ولكنه قد

يكون زوجاً أيضاً؛ فقد قضت فترة أنوثتها المبكرة -كما عرفت- في أجواء قاسية وتحت ظروف غريبة. كنت قد وصلت إلى هذا الحد قبل أن أسمع رواية اللورد سايمون للأمر، فقد أخبرنا عن وجود رجل في مقعد الكنيسة وعن تغيّر سلوك العروس، بالإضافة إلى سقوط طاقة الأزهار (وهي وسيلة واضحة للحصول على رسالة) ولجوء السيدة إلى خادمتها الخاصة وإشارتها الواضحة حين قالت: «القفز على امتياز»، والتي تعني -بلغة عمّال المناجم- الاستيلاء على امتيازات شخص آخر وصل أولاً... وهكذا أصبح الموقف كله في غاية الوضوح، فقد هربت مع رجل، وهذا الرجل إما أن يكون حبيباً أو زوجاً سابقاً، وإن كنت قد رجّحت الاحتمال الأخير.

- وكيف وجدتهما بالله عليك؟

- كان من الممكن أن يكون الأمر صعباً، ولكن صديقنا ليستراد كان يحمل بين يديه معلومات لم يعرف هو نفسه قيمتها. كانت للحروف الأولية لاسم ذلك الشخص أهمية كبيرة، ولكن الأكثر أهمية كان معرفتنا أنه قد سدّد خلال هذا الأسبوع فاتورة في واحد من أرقى الفنادق في لندن.

- وكيف استنتجت رُقيّ الفندق؟

- عن طريق الأسعار، فثمانية شلنات للإقامة دلّتني على أنه واحد من أغلى الفنادق في لندن. ليست كثيرة هي الفنادق التي تتقاضى مثل هذه الأسعار، وفي الفندق الثاني الذي زرته في طريق نورثمبرلاند عرفت -حين فحصت السجلات- أن فرانسيس مولتون (وهو سيد أمريكي) قد غادر في اليوم السابق، وحين تفحصت فواتيره وجدت نفس البنود التي رأيتها في نسخة الفاتورة التي حملها ليستراد. وكان العنوان الذي تركه لترسَل إليه خطاباته هو المنزل رقم ٢٢٦ بميدان غوردون. وهكذا انطلقت إلى العنوان الجديد، وحالفني الحظ فوجدت الزوجين المحبين في المنزل، فقدّمت إليهما بعض النصائح الأبوية وشجّعتهما على توضيح موقفهما قليلاً لعامة الناس وبشكل أكثر تفصيلاً للّورد سايمون، ودعوتهما إلى مقابلته هنا وحرصت على أن أجعله يأتي في الموعد.

علّقت قائلاً: ولكن بلا نتيجة جيدة، فتصرفه كان مَقيتاً جداً.

فقال هولمز مبتسماً: آه يا واطسون، ربما لم تكن لتتصرف بكرم أيضاً لو وجدت نفسك في لحظة محروماً من الزوجة والثروة بعد كل المشقة التي

بذلتها في التودّد والزفاف! أظن أننا يجب أن نرأف في الحكم على اللورد سايمون وأن نسعد لأننا لن نجد أنفسنا أبداً في موقف كهذا الموقف. هيا، اسحب كرسيك وأعطني كَماني، لأن المشكلة الوحيدة التي ما زلنا نواجهها هي كيف نقضي هذه الليالي الخريفية المملة.

* * *

-تمت-